لمحات في إعجاز سـورة المـائـدة

بقلم

الدكتور حسن محمّد با جودة

أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة

بجامعة أمّ القرى ، بمكّة المكرّمة

المقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين ، سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذه اللّمحات في إعجاز سورة المائدة ، هي في الحقيقة اقتباساتٌ من دراستي المتأمّلة لسورة المائدة في سلسلة دراساتي المتأمّلة للقرآن الكريم الّتي بدأتها منذ عشرين عاماً والّتي شملت ستّ عشرة سورةً كريمةً وزهاء ثلث القرآن الكريم ، والّتي غطّت أكثر من سبعة آلافٍ من الصّفحات . ولله الحمد المنّة .

ولمّا كان القرآن الكريم كُلُّه معجزاً بمعناه ومبناه ، وكانت سورة المائدة معجزةً بمعناها ومبناها فقد كان في هذه اللّمحات في إعجاز سورة المائدة اقتباساتٌ لبعض اللّمحات وعرضٌ لها في الكيفيّة الّتي تَسْمَح بإلقائها في هيئة محاضرة .

وربّما كان من المفيد التّذكيرُ بأنّ سورةَ المائدة المدنيّةَ مِنْ أواخر سور القرآن الكريم نزولاً على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، وقد رُوِي أنّ عائشة ﵂ قالت : "أما إنّها آخِرُ سورةٍ نزلت

. فما وجدتم فيها من حلالٍ فاستحلّوه ، وما وجدتم من حرامٍ فحرّموه"[1] وقال ابن عبّاس والحسن وغيرهما : إنّه لا منسوخ فيها[2] بما في ذلك شهادة الاثنين من غير المسلمين حين الوصيّة وحضورِ أسباب الموت واحداً من المسلمين في حال عدم وجود شاهِدَيْنِ مسلِمَيْن . وفي هذه الوصيّة والشّهادة تحدّثت الآيات الكريمات ١٠٦– ١٠٨ من السّورة الكريمة .

وربّما كان من المفيد كذلك التّذكيرُ بأنّ عدد آيات السّورة الكريمة مائةٌ وعشرون آية ، وعدَد كلماتها ألفان وثمانُمائةٍ وأربعُ كلماتٍ ، وعددَ حروفها أحد عشر ألفاً وسبعُمائةٍ وثلاثةٌ وثلاثون حرفاً[3] وبأنّ السّورة الكريمة اشتملت على الكثير من الأحكام بحيث إنّ أبا حيّان يذهب في البحر المحيط[4] إلى أنّها تضمّنت ثماني عشرة فريضةً لم تُبَيَّن في غيرها من السّور .

وستشمل اللّمحات الإعجازيّة في سورة المائدة بإذن الله تعالى ما يلي :

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/٢ .

(٢) تفسير القرطبيّ ٢٣٤٧ .

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنّيسابوري ٦/ ٣٩ مطبوع بهامش تفسير الطّبريّ طبعة بولاق .

(٤) ٣/ ٤١١ .

أ– تطوّر دلالة الألفاظ : "شعائر" "الجوارح" "مكلّبين".

ب- بناء الآيات الكريمات للمعاني بحيث يسير -مثلاً- نظم آيةٍ كريمةٍ في ضوء نظم آيةٍ كريمة سابقة مع إضافة الجديد من المعاني .

ج- روعة الذّكر والحذف .

د- معجزة الزّمان أو الحساب .

أ- تطوّر دلالة الألفاظ

شعائر :

من المواضع في سورة المائدة الّتي وقفنا عندها مليّا قولُ الحقّ جلّ وعلا : ﴿ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ في الآية الكريمة الثّانية . قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ ومعنى الآية الكريمة بإيجاز : يا أيّها الّذين آمنوا لا تحلّوا معالم دينه جلّ وعلا بالصّيد في الإحرام(١) ولا الأَشْهُرَ الأربعة الحرم بالقتال فيها ، ولا ما يُهْدَى إلى البيت الحرام مِنْ هَدْيٍ غير مقلَّد ، وهَدْيٍ مُقَلَّد ، بأن وُضِعَ في عنق الهدي قلائدُ من لِحاءِ الشّجر دليلاً على أنّه هديٌ فلا يَتَعَرَّضُ له أحدٌ بسوء، ولا تُحِلُّوا قاصدين البيتَ الحرامَ يبتغون فضلاً من ربّهم بطلب الرّزق مثلاً، ورضواناً بحجٍّ أو عمرة بأن تقاتلوهم. وإذا حللتم من إحرامكم فاصطادوا في البَرِّ إن شئتم . ولا يحملنّكم بغض قومٍ

---

(١) انظر الجلالين .

وشدّة عداوة أناس لأجل أن صدّوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام أن تعتدوا عليهم بالقتل وغيره . وتعاونوا على البرّ والتّقوى

ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، فإنّ عدم البِرّ يؤدّي إلى الإثم ، وإنّ عدم التّقوى يؤدّي إلى العدوان . واتّقوا الله إنّ الله سبحانه وتعالى شديد العقاب للعاصين .

وإذا كان معنى القول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ يا أيّها الّذين آمنوا لا تحلّوا معالم دينه بالصّيد في الإحرام فإنّا نودّ أن نبيّن أنّ الانتهاء إلى مثل هذا المعنى تطلّب أمرين اثنين. أحدهما سياق الآيات الكريمات ، وآخرهما تطوّر الدّلالة .

إنّه بشأن سياق الآيات الكريمات تبيّن أنّ الآية الكريمة الأولى في السّورة الكريمة قد أشارت بإيجاز إلى المحرّمات من بهيمة الأنعام وذلك في القول : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ وقد بيّنت الآية الكريمة الثّالثة هذه المحرّمات من الأنعام. وقد تبيّن أيضاً أنّ الآية الكريمة الأولى قد نهت المؤمنين عن صيد البَرّ وهم محرمون بحجٍّ أو عمرة وذلك في القول : ﴿ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ وهذه هي الآية الكريمة الأولى . فال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ وإذا كانت الآية الكريمة الثّالثة الّتي تنصّ على المحرّمات من الأنعام أو الأطعمة ذاتَ عَلاقة بالقول في الآية الكريمة الأولى : ﴿ إِلَّا مَا

يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ فإنّ القول في الآية الكريمة الثّانية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ ذو علاقة بالقول في الآية الكريمة الأولى : ﴿ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ ﴾ وبهذا يتبيّن أنّ أحد الأمرين المطلوبين وهو سياق الآيات الكريمات له دوره في فهم معنى القول : ﴿ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللهِ ﴾ على النّحو الّذي مرّ بنا وأنّه بمعنى : لا تُحِلُّوا معالم دينه بالصّيد في الإحرام . ومن البيّن أنّ النّهي عن إحلال الصّيد في الموضعين قرينةٌ قويّة تربط بينهما وتحدّدُ معنى ثانيهما أو توجّهُهُ وجهةً معيّنة .

ويأتي بعد ذلك الأمر الآخَرُ المطلوبُ ، وهو تطوّر الدِّلالة، ويتعلّق هذا الأمر الآخر بلفظة : "شعائر" الّتي فهمناها بأنّها بمعنى معالم .

وإنّ تطوّر دلالة هذا اللّفظ يقتضينا أن نستأنس بالعديد من النّصوص . فما معنى لفظة "شعائر" ؟ يقول الطّبريّ[1] :

---

(١) تفسير الطّبريّ ٦/ ٣٦ .

"الشّعائر جمع شعيرة ، والشّعيرة فعيلة من قول القائل : قد شَعَرَ فلانٌ بهذا الأمر إذا عَلِمَ به . فالشّعائر المعالم من ذلك" وكيف

اكتسبت لفظة الشّعائر معنى المعالم ؟ اكتسبت لفظة الشّعائر معنى المعالم وأصبح للّفظة عَلاقةٌ بالعِلم بسبب الطّبيعة الاشتقاقيّة للّغة العربيّة وللّفظة المشتقّة فيها وبسبب ارتباط الألفاظ بالأصل اللّغوي الّذي اشتقّت منه وتَضَمُّنِها حروفه دائماً وإفادَتِها معنى الأصل اللّغوي إضافةً إلى المعنى الاصطلاحيّ . وكيف تحقّق ذلك للفظة شعائِر الّتي مفردها شعيرة؟ بسبب اشتراكها في الأصل اللّغويّ "شَعَر" مع عددٍ من الألفاظ مثل شَعَر وشعور وشِعْر واشتمالِها على بعض معاني هذه الألفاظ المشتقّة من الأصل اللّغويّ الواحد .

إنَّ الشَّعْرَ ، بسكون العين وفتحها ، الّذي ينبت من مسامّ البدن ، من أهمّ سماته القُرْب من صاحبه ، ومن أهمّ متعلَّقات القرب من الشّيء العِلْمُ بِه . ودليلاً على القُرْب أُطْلِقَتْ لفظة شِعار على ما يلي شَعْر الجسد من اللّباس . ويأتي فوق الشِّعار الدِّثار . وقد قال صلّى الله عليه وسلّم[1] الأنصار شعار ، والنّاس دثار . وفي رواية : الأنصار شعاري والنّاس دثاري .

(١) الحديث في صحيح البخاري كتاب المغازي ، حديث رقم ٥٦ .

وإنّ من ألطف ما يُسْتَدَلُّ به في هذا الشّأن أنّ الآية الكريمة الثّانية عشرة من سورة البقرة تنفي الشّعور عن المنافقين الّذين

يزعمون أنّهم هم وَحْدَهُم المصلحون بينما هم المفسدون حقّا.قال تعالى[1] : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ ﴾ إنّ ما يقوم به المنافقون من إفسادٍ في الأرض من الوضوح للدّرجة الّتي يُنَزَّل لسهولة العلم بفساده وإدراكه منزلة شَعْر الجسد من القُرْب. وقد قالوا في هذا المعنى : شَعَرْتُ بمعنى أصبتُ الشَّعْر ، ومنه اسْتُعِير شَعَرْت كذا أي علمت علماً في الدّقّة كإصابة[2] الشَّعْر ومن هنا اقترن بالعلم الفطنةُ بسبب دقّة الشَّعْر ورقّته . تقول : شَعَرْتُ بالشّيء إذا علمتَه وفَطِنْتَ له[3] وتقول : ليت شِعْرى ، أي ليتني علمت[4] ومن هنا سُمِّي الشّاعر شاعراً لفطنته ودقّة معرفته[5] ولأنّه يفطن لما لا يفطن له غيره[6] فالشّعر في الأصل اسمٌ للعِلْم

---

(١) سورة البقرة ١١ ، ١٢ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانيّ "شعر" ٢٦٢ .
(٣) معجم مقاييس اللّغة لابن فارس "شعر" ٣/ ١٩٤ .
(٤) معجم مقاييس اللّغة لابن فارس : "شعر ٣/ ١٩٤ .
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهانيّ : "شعر" ٢٦٢ .
(٦) معجم مقاييس اللّغة "شعر" ٣/ ١٩٤ .

الدّقيق في قولهم : ليت شِعْري . وصار في التّعارف اسماً للموزون المقفّى من الكلام . والشّاعر للمختصّ بصناعته[1] والشِّعر مِنْ

أهمّ عناصره الشّعور ، بل أهمّ عناصره الشّعور ، وهو ضربٌ من الأحاسيس ذاتِ العَلاقة بالفطنة والعلم الدّقيق ورقّة المشاعر . وإنّ مِنْ أبلغ ما يبيّن أبعاد عمليّة الشّعر ذاتِ المعاني الّتي إليها أومأنا ما رُوِيَ مِنْ أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لعبد الله بن رواحة ، أحد شعرائه صلّى الله عليه وسلّم : ما الشّعر ؟ قال : شيءٌ يختلج في صدر الرّجل فيخرجه على لسانه شعراً[٢] .

ولمّا كانت الألفاظ المشتقّة من الأصل اللّغويّ : "شَعَر" ذاتَ عَلاقةٍ بشَعْر الجسد وكان القول : شَعَرْت أصبت الشّعر ومنه اسْتُعِير : شَعَرْت كذا أي عَلِمت علماً في الدّقّة كإصابة الشّعر ، فينبغي أن تكون لفظة شعيرة أو شعائر لها عَلاقةٌ بهذه المعاني والأبعاد . أي أنّ القول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ بمعنى لا تحلّوا معالم دينه بالصّيد فى الإحرام ، أو بمعنى أعلام الحجّ وأعماله، وقد قال الله تعالى[٣]: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "شعر" ٢٦٢ .

(٢) ديوان عبدالله بن رواحة ٤٦ دراسة جمع تحقيق د. حسن محمّد باجوده .

(٣) سورة البقرة ١٥٨ .

شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[١] فإنّ هذه الشّعائر ، بمعنى المعالم ، بحاجة إلى دقّة العلم ، ورقّة الشّعور ، وحسن التّأتّي ، وصواب العمل .

إنّ كلّ هذه المعاني والملابسات يحتاج الحاجّ أو المعتمر أن يتمثّلها جيّداً وأن يقوم بها كاملةً ويأتي بها على وجهها متأسّياً بالمصطفى صلّى الله عليه وسلّم الّذي قال للنّاس في حجّة الوداع: خذو عنّي مناسككم[٢]

وإنّ ما ارتبط بإقامة الشّعائر من علمٍ ودقةٍ ورقّةٍ ولطف بسبب اشتراك الشّعيرة في العديد من المعاني واللّطائف مع مِثْلِ لفظة الشُّعور والشَّعْر والشِّعر ليذكّرنا بتلك المعاني الدّقيقة والملابسات الرّقيقة الّتي ترتبط بالفطرة ذاتها الّتي فَطَرَ الله النّاسَ عليها . إنّ الله سبحانه وتعالى فطر النّاس على عبادته جلّ وعلا فهم موحّدون لله تعالى بطبعهم مفردون له جلّ وعلا بالعبادة بأصل خلقهم . وبما أنّ هذه الفطرة غايةٌ في الدّقة والشّفافيّة فإنّها قابلةٌ ، بسبب المؤثّرات الخارجيّة ، لأن تنحرف عن سواء السّبيل. كما كان الاستمساك بتعاليم القرآن الكريم وسنّة أشرف المرسلين هو الضّابطَ لصحّة الفهم للشّعائر والعلم والعمل

---

(١) معجم مقاييس اللّغة لابن فارس : "شعر" ٣/ ١٩٤ .

(٢) تفسير القرطبيّ ٧٨٩ .

بها ، كان الاستمساكُ بهما في حقّ الفطرة هو صِمامَ الأمان وقد قال عزّ من قائل[1] : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ **وقال تعالى** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾

---

(١) سورة الرّوم ٣٠– ٣٢ .

"الجوارح" "مكلّبين"

ومن الألفاظ الّتي وقفنا عندها مليّاً : "الجوارح" "مكلّبين" في الآية الكريمة الرّابعة من السّورة الكريمة . قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ ومعنى الآية الكريمة ، يسألونك أيّها الرّسول الكريم ماذا أَحِلّ لهم من الأطعمة ، قُلْ أُحِلّ لكم الطّيّبات غَيْرُ الخبيثات والحلالُ منها غير الحرام . وأحلّ لكم صيد ما علّمتم من الجوارح[1] والكواسب من الكلاب والفهود والطّيور[2] وما إليها ، مكلّبين ومعلّمين لها ممّا علّمكم الله تعالى . فكلوا ممّا أمسكن عليكم واذكروا اسم الله تعالى عند الإرسال وعند الأكل . واتّقوا الله تعالى . إنّ الله سبحانه وتعالى سريع الحساب .

وبشأن لفظة الجوارح ثمّة معنيان اثنان ، يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللّغة[3] : "الجيم والرّاء والحاء أصلان : أحدهما الكسب والثّاني شقّ الجلد . فالأوّل قولهم : اجترح إذا عَمِل

---

(١) لسان العرب : "جرح" .

(٢) مفرادت الرّاغب الأصفهانيّ : "جرح" ٩٠ .

(٣) "جرح" ١/ ٤٥١ .

وكَسَب.قال الله عزّ وجلّ[1]:﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾. إنّما سمّي ذلك اجتراحاً لأنّه عملٌ بالجوارح ، وهي الأعضاء الكواسب . والجوارح من الطّير والسّباع : ذوات الصّيد . وأمّا الآخر فقولهم جرحه بحديدة جَرْحاً. والاسمُ الجُرْح"

ومن البيّن أنّ أحد المعنيين أو أوَّلهَما حسّيّ ، وهو شَقُّ الجلد، وأنّ آخر المعنيين أو ثانِيَهُما مَعْنَوِيّ وهو الجَرْح بِالسّلاح . يقول ابن منظور[2] : "الجَرْح : الفِعْل . جرحه يجرحه جَرْحاً : أثّر فيه بالسّلاح .... والاسم الجُرْح بالضّمّ ... وجَرَح الشّيء واجترحه كَسَبه . وفي التّنزيل[3] : وهو الّذي يتوفّاكم باللّيل ويعلم ما جرحتم بالنّهار .... وفي التّنزيل : أم حَسِبَ الّذين اجترحوا السّيّئات ، أي اكتسبوها . وفلان جارح أهله وجارحتهم أي كاسِبُهُمْ . والجوارح من الطّير والسّباع والكلاب : ذواتُ الصّيد لأنّها تجرح لأهلها أي تَكْسِبُ لهم ، الواحدة جارحة ، فالبازي جارحة ، والكلب الضّاري جارحة .... وجوارح الإنسان:أعضاؤه وعوامل جسده كيديه ورجليه ، واحدتها جارحة ، لأنّهنّ يجرحن الخير والشّرّ أي يكسبنه"

---

(١) سورة الجاثية ٢١ .

(٢) لسان العرب : "جرح" .

(٣) سورة الأنعام٦٠ .

وفي ضوء هذين المعنيين الحسّيّ والمعنويّ للفظة الجوارح حاولنا أن نتبيّن المعنى الحسّيّ أو المعنويّ للألفاظ القرآنيّة من الأصل اللّغويّ : "جرح" ومنها لفظة "الجوارح" في الآية الكريمة من سورة المائدة . وقد تبيّن أنّ في القرآن الكريم أربعة استعمالاتٍ تعود إلى هذا الأصل اللّغويّ ، ونحن نودّ أن نرتّبها بناءً على حظّها من الاستعمالين الحسّيّ والمعنويّ على التّوالي . وإنّما ذكرنا المعنى الحسّيّ أوّلاً لأنّه هو الأصل .

يبدو أنّ أكثر الاستعمالات عَلاقةً بالجَرْح بمعنى إسالة الدّمّ في المواضع القرآنيّة الأربعة لفظةُ جروح من آية سورة المائدة . قال تعالى[1]:﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

ويصحّ أن تكون اللّفظة الّتي تليها في مجال العَلاقة بإسالة الدّم لفظةَ الجوارح في الآية الكريمة الرّابعة من سورة المائدة . قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ ﴾

(١) سورة المائدة ٤٥ .

والحقيقة أنّا حينما ننظر إلى لفظة "الجوارح" من زاوية وسيلة الصّيد وهي من الكلاب والفهود والصّقور وأشباهها كما هو مذهب الجمهور من الصّحابة والتّابعين والأئمّة[1] نستطيع أن نتبيّن حظّ اللّفظة الموفور من المرحلة الحسّيّة بسبب إسالة هذه السّباع من الحيوان والطّير دم الصّيد بأنيابها ومخالبها . وحينما ننظر إلى لفظة "الجوارح" من زاوية الصّائد الّذي يتّخذ وسائل الصّيد هذه أدوات كسبه نستطيع أن نتبيّن حظّ اللّفظة الموفورَ من المرحلة المعنويّة بمعنى الكسب .

ويصحّ أن تكون جملة : ﴿ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ في الآية الكريمة الحادية والعشرين من سورة الجاثية في المرتبة الثّالثة من زاوية عَلاقتها بعمليّة الجَرْح وإسالة الدّمّ . قال تعالى[2] : ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ لقد عرفنا أنّ معنى القول : "أم حسب الّذين اجترحوا السّيّئات ، أي

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٥ .

(٢) سورة الجاثية ٢١ .

اكتسبوها[1] وقد بيّنت هذا المعنى الآية الكريمة الرّابعة من سورة العنكبوت . قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ وإنّما كان حظّ جملة : ﴿ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ موفوراً من إسالة الدّم ، وهو المعنى الحِسّيّ للجَرْح، إضافة إلى إفادة الكسب ، وهو المعنى الاصطلاحيّ للجَرْح ، بسبب مجيء لفظة السّيّئات الّتي قد يقترن بعملها إسالة الدّم ، وبسبب مجيء صيغة اجترح على غرار اكتسب وليس جرح على غرار كسب ممّا يحملنا على قياس جملة اجترح على اكتسب في حقّ السّيّئات وذلك في قوله عزّ من قائل في سورة البقرة[2] : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ والمعنى أنّ لها ما كسبت من الحسنات وعليها ما اكتسبت من السّيّئات. ومن البيّن الفرق بين صيغة كسب وصيغة اكتسب في ضوء القاعدة الّتي تقول : إنّ الزّيادة في المبنى دليلٌ على الزّيادة في المعنى ، لأنّ الّذي يكسِب الحسنات يسير في الطّريق القويم والصّراط المستقيم ، أمّا الّذي يكتسب السّيّئات فإنّه يسير في

---

(١) لسان العرب : "جرح" .

(٢) الآية ٢٨٦ .

الطّريق المعاكس وهو يكسر الكثير من الحواجز ، ويتخطّى الكثير من الحدود ، وأهمّها حدود الله تعالى الّتي نهى جلّ وعلا عن تعدّيها ، بل نهى عن الاقتراب منها . إنّ الّذي يكسِب الحسنات يحتاج إلى جهدٍ معقول ، أمّا الّذي يكتسب السّيّئات فإنّه يحتاج إلى مجهودٍ مضاعف لأجل كسر الكثير من الحواجز، ومنها الحاجز النّفسي ، فإنّ القِطّ الّذي يَسْرِقُ اللّحم لا يكاد يهنأ بما سرق بعكس الّذي يُعْطَى ذلك اللّحم .

فإذا تحوّلنا إلى الاستعمال الرّابع والأخير وذلك في الآية الكريمة السّتّين من سورة الأنعام . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ تبيّنّا أنّ جملة جرحتم بمعنى كسبتم . يقول ابن كثير[1] : "ويعلم ما جرحتم بالنّهار : ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنّهار" وبناءً على ذلك يبدو– والله تعالى أعلم – أنّ جملة جرحتم تفيد معنى الكسب ومعنى الجرح بمعنى إسالة الدّم لأنّ الأعمال منها الصّالح ومنها الطّالح ، وقد يقترن بعمل السّيّئات الجروح وإسالة الدّماء .

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٣٨ .

وإنّ استعمالات القرآن الكريم مشتقّات الأصل اللّغويّ : "جرح" في الحسنات والسّيّئات ، في كسب الحسنات واكتساب السّيّئات ، على نحو ما مرّ بنا ، وإنّ عَلاقة هذا الأصل اللّغويّ بالجَرْح بمعنى الكسب وبمعنى إسالة الدّم ، على نحو ما تبيّن من النّصوص المقتبسة من المعاجم ، يحملنا على الظّنّ بأنّ هذه الاستعمالات ، وفي مقدّمتها استعمال لفظة الجوارح من آية سورة المائدة في معنى الكواسب وذلك في القول : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ ﴾ يحملنا على الظّنّ بأنّ عمليّة الصّيد لدى عرب الجاهليّة كانت مصدراً من أهمّ مصادر الرّزق ، وأنّ جزيرة العرب في قديم الزّمان كانت مسرحاً للكثير من الحيوانات الّتي كانت صيداً لسكّان الجزيرة العربيّة بمختلِف الوسائل الّتي صوّرها الشّعر الجاهليّ أحسن تصوير . وإنّ من أهمّ وسائل الصّيد آنذاك الكلابَ الضّواريَ الّتي أشار إليها أساساً لفظ مكلّبين في الآية الكريمة ، وهو اللّفظ الآخر الّذي نرغب في الوقوف عنده مليّاً في مجال تطوّر الدّلالة ، في الآية الكريمة الرّابعة من سورة المائدة . قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ

أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ .

إنّ لفظة مكلّبين بمعنى معلِّمين . والمكلِّب والكَلاَّب : الّذي يعلّم الكلب[1] أخذ الصّيد[2] وفي حديث الصّيد : إنّ لي كلاباً مكلَّبةً فأفْتِنِي في صيدها . المكلَّبة : المسلَّطة على الصّيد المُعَوَّدة بالاصطياد الّتي قد ضَرِيَتْ به . والمكلِّب بالكسر صاحبها والّذي يصطاد بها[3] ومكلّبين حال من كلّبت الكلب بالتّشديد أي أرسلته على الصّيد[4]

بقي علينا أن نعرف أن المحكيّ عن الجمهور أنّ الصّيد بالطّيور كالصّيد بالكلاب لأنّها تَكْلِبُ الصّيد بمخالبها كما تكلِبه الكلاب فلا فرق . وهو مذهب الأئمّةِ الأربعةِ وغَيْرِهِمْ[5]

وإنّما جاء القول : "مكلّبين" ذو العلاقة بالأصل اللّغوي "كَلَبَ" لأنّ الكَلْبَ وهو الحيوان النّبّاح المعروف أهمّ وسائل الصّيد لدى العرب الّذين نزل القرآن الكريم بلسانهم . وقد جاء

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهانيّ : "كلب" ٤٣٨ .
(٢) اللّسان : "كلب" .
(٣) اللّسان : "كلب" .
(٤) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ١٦ .
(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ١٥ .

في سبب النّزول[1] أن عديّ بن حاتم وزيد بن المهلهِل الطّائيّين ، وهو زيد الخيل الّذي سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زيد الخير جاءا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالا: يارسول الله ، إنّا قومٌ نصيد بالكلاب والبُزاة . وإنّ كلاب آل ذَرِيح وآل أبي جُوَيْرِية تأخذ البقر والحُمُر والظِّباء والضّبّ . فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما يُقْتَل فلا ندرك ذَكاته ، وقد حرّم الله الميتة فماذا يحلّ لنا منها؟ فنزلت الآية الكريمة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ يعنى الذّبائح ، وما علّمتم من الجوارح ، يَعْنى وصيد ما علّمتم من الجوارح ، وهي الكواسب من الكلاب وسباع الطّير .

وبشأن القول : "مكلّبين" ثمّة معنيان اثنان . الأوّل ذو عَلاقة بلفظ الكلب الّذي يُصْطادُ به أساساً لأسباب عديدة في الكلب ، وصفاتٍ كثيرةٍ فيه خُلُقيّة وخِلْقيّة ، والمعنى الآخر ذو عَلاقة بتعليم الكلاب الصّيد وتدريبها عليه وإغرائها به ، وعليه يكون معنى : "مكلّبين" معلّمين .

وإنّ صفات الكلب الخُلُقيّة والخِلْقيّة تعود إلى معنًى واحد

---

(١) أسباب النّزول للواحدي ٢٢٤ .

عبّر عنه ابن فارس في مقاييس اللّغة[1] بالقول : "الكاف واللّام والباء أصلٌ واحدٌ صحيح يدلّ على تعلُّقِ الشّيء بالشّيْءِ في شِدّةٍ وشِدّةِ جَذْب"

ومن صفات الكلب الخُلُقيّة ذوات العَلاقة بهذا المعنى الأصليّ الحِرْص . وقد اشتقّ عنه لفظ الكَلَب بمعنى الحرص ومنه يقال : هو أحرص من كلب . ورجلٌ كَلِب : شديد الحِرْص[2] والكلب الكَلِب : الّذي يَكْلَب بلحوم النّاس ، يأخذه شبه جنونٍ فإذا عَقَر إنساناً كَلِب ، فيقال رجلٌ كَلِب ورجالٌ كَلْبى[3] وكَلِب الشّتاء اشتدّ برده وحدّته تشبيهاً بالكلب الكَلِب[4] وكَلِب على الشّيء كَلَباً : حَرَصَ عليه حِرْص الكلب واشتدّ حِرْصه . وتكالب النّاس على الأمر : حَرَصوا عليه حتّى كأنّهم كلاب. والكلب : الأكل الكثير بلا شِبَع[5]

فإذا تجاوزنا هذه الألفاظ ذوات العلاقة بصفات الكلب الخُلُقيّة ، إلى الألفاظ ذوات العلاقة بصفات الكلب الخِلقيّة وقد

---

(١) "كلب" ٥/ ١٣٣ .

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانيّ : "كلب" ٤٣٨ .

(٣) معجم مقاييس اللّغة : "كلب" ٥/ ١٣٣ وانظر مفردات الرّاغب الأصفهانيّ : "كلب" ٤٣٨ واللّسان : "كلب"

(٤) مفردات الرّاغب الأصفهانيّ : "كلب" ٤٣٨ واللّسان : "كلب" .

(٥) اللّسان : "كلب" .

عرفنا أنه يصيد ببراثنه[1] يصادفنا القول[2] : "وأرضٌ كَلِبة ، إذا لم يجد نباتها رِيّاً فَيَبِس ، إنّما قيل ذلك لأنّه إذا يَبِسَ صار كأنياب الكلاب وبراثِنها" ويقال : كَلِبَتِ الشّجرة إذا انجرد ورقها واقشعرّت فَعَلِقتِ الثِّيابَ وآذَتْ من مرّ بها كما يفعل الكلب[3] والكَلْب : حديدةٌ عَقفاء يعلّق عليها المسافر الزّاد من الرّحْل[4] والكُلاّب : حديدةٌ معطوفةٌ كالخُطّاف[5] والكلبتان آلةٌ مع الحدّادين، سمّيا بذلك تشبيهاً بكلبين في اصطيادهما . وثُنّي اللّفظ لكونهما اثنين[6] وكلاليب البازي مخالبه . اشتقّ من الكَلْب لإمساكه ما يعلّق عليه إمساك الكلب[7] وكلاليب الشّجر : شوكه كذلك . كلّ ذلك على التّشبيه بمخالب الكلاب والسّباع[8]

وبعد هذه الجولة الواسعة مع بعض الألفاظ المشتقّة من

---

(١) الواحد برثن بضمّ الباء والثّاء وهو من السّباع والطّير بمنزلة الإصبع من الإنسان.

(٢) معجم مقاييس اللّغة : "كلب" ٥/ ١٣٣ وانظر اللّسان : "كلب" .

(٣) اللّسان : "كلب" .

(٤) معجم مقاييس اللّغة : "كلب" ٥/ ١٣٤ .

(٥) اللّسان : "كلب" .

(٦) مفردات الرّاغب : "كلب" ٤٣٨ واللّسان : "كلب" .

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهانيّ : "كلب" ٤٣٨ واللّسان : "كلب"

(٨) انظر اللّسان : "كلب" .

الأصل اللّغويّ : "كلب" والّتي لها عَلاقةٌ ببعض صفات الكلب الخُلُقيّة وأهمّها الحِرْص والجَشَع ، والخِلْقيّة وأهمّها الإمساك بالمخالب ، وبخاصّةٍ في حال الصّيد ، نستطيع أن نتبيّن المعنيين اللّذين يفيدهما لفظ : "مكلّبين" بمعنى معلِّمين ، وبمعنى مستخدمين الكلب وما شاكله في عمليّة الصّيد . ونستطيع أن نفهم أنّ لفظ : "مكلّبين" قوّةٌ للمعنى الّذي سبق أن فهمناها من لفظ : "الجوارح" في الدّلالة على أنّ الصّيد إحدى الحِرَف المهمّة للعرب قبل الإسلام ، وبخاصّةٍ عن طريق الكلاب .

واللّطيف بشأن لفظة : "مكلّبين" الّتي تدلّ على معنى : "معلِّمين" أنّ النّصّ على العلم يأتي من بين يديها ومن خلفها . قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾

ب– بناء الآيات الكريمات للمعاني

وفيما يتّصل ببناء الآيات الكريمات للمعاني نودّ أن نتّخذ من الآيتين الكريمتين الثّانية عشرة والثّالثة عشرة الدّليل على ذلك . وهاتان هما الآيتان الكريمتان . قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

وإنّ وسيلتنا في سبيل تبيين بناء الآيتين الكريمتين للمعاني ستتّخذ الخطوات التّالية .

أ – تبيين معنى الآيتين الكريمتين .

ب– تبيين بعض مظاهر إعجاز الآية الكريمة الأولى في عرضها لحبّات عقد معانيها .

ج- أوجه الشّبه بين الآيتين الكريمتين في عرض المعاني وما أضافته الآية الكريمة التّالية من جديد المعاني في إطار التّكامل بين الآيتين الكريمتين وانسجامهما وتناغُمِهما

.

وبشأن معنى الآيتين الكريمتين من الواضح أنّ الآية الكريمة الأولى تبدأ بالقول : "ولقد" المتضمّن للاّم الموطئة لِلْقَسَم ، وفيها معنى التّوكيد ، وقد الّتي تفيد التّحقيق ، وتبيّن أنّ الله سبحانه وتعالى قد أخذ من بني إسرائيل الميثاق ، وهو العهد المؤكّد ، ومن المعروف أنّ توحيد الله تعالى أهمُّ بنود الميثاق ، وبعث منهم اثني عشر نقيباً بعدد الأسباط الاثني عشر والقبائل الاثنتي عشرة من ذرّيّة يعقوب عليه السّلام الاثني عشر ولداً ذكراً وفيهم يوسف عليه السّلام . إنّ موسى عليه السّلام اختار بإيحاءٍ من الله تعالى اثني عشر نقيباً . والنّقيب بمعنى الكفيل الأمين الضّامن على القوم[1] الّذي يرعى مصالحهم ويبيّن حقوقهم وواجباتهم ويكون بمثابة همزة الوصل بين موسى عليه السّلام وقومه . وكان هذا الاختيار لمّا توجّه موسى عليه السّلام لقتال الجبابرة[2] فسار موسى عليه السّلام حتّى وصل بقومه

---

(١) تفسير الطّبريّ ٦/ ٩٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٢ .

باب مدينة الجبّارين فأرسل النّقباء الاثني عشر يتجسّسون إلى أرض كنعان[1] وعادوا بحقائق الأخبار . والمعروف أن قوم موسى عليه السّلام جَبُنُوا عن دخول مدينة الجبّارين بنصّ القرآن الكريم فكتب الله تعالى عليهم أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة .

والآية الكريمة تبيّن أنّ الله سبحانه وتعالى قال لبني إسرائيل إنّه جلّ وعلا معهم ما داموا مستمسكين بتعاليم التّوراة ، والآية الكريمة تبيّن أنّ ربّ العزّة قال لبني إسرائيل : لئن أقمتم الصّلاة عماد الدّين ، وآتيتم الزّكاة لأصحابها ، وآمنتم برسلي وفيهم موسى عليه السّلام ، ونصرتموهم بفعل الأوامر واجتناب النّواهي، وقاتلتم مع موسى عليه السّلام ، وأقرضتم الله قرضاً حسناً بأن أنفقتم في سبيل الله تعالى ، لأكفرنّ عنكم سيّئاتكم ولأدخلنّكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار . وإذا كان ثواب الطّاعة كبيراً فإنّ عذاب المعصية كبيرٌ أيضاً .

وإذا كانت الآية الكريمة الأولى تتحدّث عن أخذ الميثاق والوفاء به فإنّ الآية الكريمة الأخرى تتحدّث عن نقض بني إسرائيل له . إنّ الآية الكريمة تقرّر نقض بني إسرائيل الميثاق ،

---

(١) تفسير الطّبريّ ٦/ ٩٦ .

وطَرْدَ اللهِ تعالى لهم من رحمته ، وجَعْلَ قلوبهم قاسية . وهم يحرّفون كلام الله تعالى في التّوراة عن مواضعه ومعانيه الّتي أرادها الله تعالى . وهم وراء ذلك نسوا نصيباً من التّعاليم السّماويّة الّتي ذُكِّروا بها عن طريق موسى عليه السّلام . وامتداداً لمخالفتهم أوامر الله تعالى لا تزال أيّها الرّسول الكريم تطَّلع على طائفةٍ خائِنَةٍ من بني إسرائيل ، ولا تزال تقف على خيانةٍ منهم إلاّ قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ المحسنين .

وبشأن التّبيين لبعض مظاهر الإعجاز في الآية الكريمة الأولى نتبيّن أنّ في النّصّ على أخذ الله تعالى الميثاق من بني إسرائيل نصّاً ضمنيّاً على أوّل بنوده وأهمّها وهو إفراد الله تعالى بالعبادة . ثمّ كان الحديث بعد ذلك عن أهمّ بنود الميثاق بعد التّوحيد وهو إقامُ الصّلاة ، تلا ذلك الحديث عن إيتاء الزّكاة الّتي تلي الصّلاة في الأهمّيّة . والمعروف أنّ الصّلاة عبادةٌ يتّجه بها العبد مباشرةً إلى الله تعالى ، وأنّ الزّكاة عبادةٌ يتّجه بها العبد إلى الله تعالى مروراً بأخيه الإنسان . وكان الجمع بين الصّلاة والزّكاة في قَرَن على عادة القرآن الكريم في الجمع بينهما فيما يزيد على الثّمانين موضعاً . ولمّا كان العبد يتّجه إلى الله تعالى في الصّلاة بطريقةٍ مباشرة ، كان دور الصّلاة القويّ في النّهي عن الفحشاء

والمنكر بنصّ القرآن الكريم دليلاً على تقوية الصّلاة إيمانَ العبد. وإنّ ذكر الزّكاة بعد الصّلاة في الآية الكريمة دليلٌ على دورها الّذي يأتي بعد دور الصّلاة ، وقد عرفنا أنّ العبد يتّجه بالزّكاة إلى الله تعالى مروراً بأخيه الإنسان ، هذا إلى عَلاقة الزّكاة بالمال ، بمعنى أنّ لها عَلاقةً على نحوٍ من الأنحاء بالمحسوسات .

فإذا تحوّلنا إلى القول في الآية الكريمة : ﴿ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ وقد عرفنا أنّ معنى : "وَعَزَّرْتُمُوهُم" نصرتموهم تبيّنّا أنّ الإيمان بالرّسل يأتي متقدّماً ذلك على غرار تقدّم الصّلاة الّتى عرفنا دورها البالغ في تقوية الإيمان ، كما تبيّنّا أنّ نُصْرة الرّسل ذات العَلاقة بالمحسوسات وذلك ببذل النّفس والنّفيس ، تأتي متأخّرةً ، وذلك على غرار تأخّر الزّكاة في الذّكر ، وقد عرفنا عَلاقتها بالمحسوسات أعنى المال .

ويأتي بعد ذلك حثّ بنى إسرائيل على إقراض الله تعالى قرضاً حسناً وذلك بالإنفاق في سبيل الله تعالى .

وبشأن ثواب عمل الصّالحات يأتي النّصّ على تكفير السّيّئات والدّخول في جنّات النّعيم . وبشأن الكفر يأتي النّصّ على الضّلال عن سواء السّبيل .

فإذا تحوّلنا إلى أوجه الشَّبَه بين الآية الكريمة والآية الكريمة الّتي تليها وإلى ما أضافت الآية الكريمة الأخرى من جديد المعاني، استطعنا أن نتبيّن أنّ الحثّ على عدم نقض الميثاق وثواب الوفاء في الآية الكريمة الأولى قد قابله في الآية الكريمة الأخرى النّصّ على نقض الميثاق وعقاب النّقض . قال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ﴾

وإذا كان الأمر في الآية الكريمة الأولى بإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة بقصد أن يقوى الإيمان وتخضع النّفوس وترقّ القلوب ، فإنّ الّذي يقابلُ هذه الأمور المطلوبة ويضادُّها في الآية الكريمة الأخرى دليلاً على عدم إقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة القول في الآية الكريمة الأخرى : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾

وإذا كان بنو إسرائيل قد أمروا في الآية الكريمة الأولى بأن يؤمنوا برسل الله تعالى وينصروهم وفيهم خاتمهم وأشرفهم محمّد ابن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم ، وإذا كانوا قد عملوا بعكس ذلك ، بما في ذلك عداوتُهُمْ لمحمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم الّذي يجدون نعته عليه الصّلاة والسّلام مكتوباً عندهم في التّوراة فما الّذي جاء في الآية الكريمة الأخرى دليلاً على عملهم بعكس ما أُمِروا به . جاء دليلاً على كلّ ذلك قوله عزّ من قائل : ﴿

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ ويدخل في تحريف كلام الله تعالى في التّوراة عن مواضعه الّتي وضعه الله تعالى فيها ، ومعانيه الّتي أرادها الله تعالى ، تكذيبُهُمْ لبعض النّبيّن وفيهم محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم وقتلُهُمْ لبعضهم الآخر. إنّ تحريف التّوراة، ويدخل في ذلك الحذف منها والإضافة إليها، مِنْ أكبر الأدلّة على عدم الإيمان بالرّسل وعلى خِذْلانهم لهم .

وما الّذي يقابل القول في الآية الكريمة الأولى: ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ وقد عرفنا أنّ المقصود الإنفاق في سبيل الله تعالى وفي كلّ أوجه الخير ؟ الّذي يقابله القول في الآية الكريمة الأخرى : ﴿ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾

ولمّا كان حظّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم موفوراً من تكذيب بنى إسرائيل وخِذْلانهم له عليه الصّلاة والسّلام وتحريف الكلم عن مواضعه فقد كان في الآية الكريمة بعد ذلك الحديث عن المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، وإضافة الجديد من المعاني بقصد تسلية المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وتثبيت فؤاده وأفئدة المؤمنين ، وحثّ بني إسرائيل على هجر طريق الضّلال والتّحوّل إلى الصّراط المستقيم . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

جـ- روعة الذّكر والحذف :

بشأن روعة الذّكر والحذف سنتّخذ من ذكر : "وإذ" وحذفها في الآية الكريمة العاشرة بعد المائة من السّورة الكريمة الّتي تتحدّث عن نعم الله تعالى على عيسى عليه السّلام دليلاً على هذه الرّوعة والبلاغة في كلٍّ من الذّكر والحذف . وسيكون حديثنا متعلّقاً بآيات عيسى عليه السّلام بشأن الخلق من الطّين كهيئة الطّير فالنّفخ فيه وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى. وهذه هي الآية الكريمة . قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

وسنبدأ بتبيين معنى الآية الكريمة ثمّ نتحوّل إلى بيان روعة ذكر : "وإذ" وحذفها .

تُبيّنُ الآية الكريمة أنّ ربّ العزّة الفعّالَ لما يريد قال لعيسى عليه السّلام اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك مِنْ أنثى ولا ذكر ،

وعلى والدتك إذ كان كلامك في المهد تبرئةً لها ممّا اتّهمها به الظّالمون ، وإذ أيّدتك يا عيسى وقوّيتُكَ بروح القدس جبريلَ عليه السّلام ، تكلّم النّاس في المهد معجزةً لك ، وكهلاً بأن يفردوه عزّ وجلّ بالعبادة . وإذ علّمتك الكتابة والخطّ ، والحكمة بمعنى الفهم الصّحيح للمسائل ، والتّوراة ، الّتي أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السّلام ، والإنجيل ، الّي أوحاه الله تعالى إليه . وإذ تخلق ياعيسى وتُوجِدُ من الطّين كهيئة الطّير بإذن الله تعالى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله تعالى ، وتبرئ الأكمه الّذي ولد أعمى غير مشقوق العين ، وتبرئ الأبرص بإذن الله تعالى ، وإذ تُخْرِج الموتى بأن تَدْعُوَهُمْ فيخرجوا من قبورهم بإذن الله تعالى . وإذا كففت ومنعت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالآيات البيّنات والحجج الواضحات فقال الّذين كفروا من بني إسرائيل ليس هذا الّذي يدعوكم إليه عيسى عليه السّلام سوى سحرٍ عظيمٍ واضح .

أمّا الجزئيّة الكريمة موضع الدّراسة من زاوية روعة كلّ من الذّكر والحذف فإنّها قولُه عزّ من قائل : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ ﴾

وأوّل ما نودّ الإشارة إليه هو أنّ قول الحقّ جلّ وعلا : "بإذني" يأتي إثر كلٍّ من آيات عيسى عليه السّلام الأربع ، وذلك دليلٌ على عظم كلّ آيةٍ ، وهي خلق عيسى عليه السّلام من الطّين كهيئة الطّير ، فالنّفخُ في الهيئة فتكون طيراً ، وإبراءُ الأكمهِ والأبرص ، وإخراجُ الموتى من قبورهم إحياء بندائهم .

وحينما ننظر إلى ظرف الزّمان : "إذ" في الجزئيّات الكريمات نتبيّن أنّه جاء بين يدي خلق عيسى عليه السّلام من الطّين كهيئة الطّير بإذن الله تعالى وبين يدي إخراج الموتى أحياء من قبورهم .

وهنا يأتي السّؤال : ما الحكمة من مجئ : "وإذ" ومن حذفها ؟

وفي سبيل الإجابة على هذا السّؤال نحن بحاجة إلى التّبيين بأنّ المعجزتين الأوليين في الحقيقة شقّان لمعجزةٍ واحدة بدليل أنّ الشّق الأوّل منهما إذا كان قد صُدِّر بالقول : "وإذ" دليلاً على تميّز هذه المعجزة عمّا سبقها وذلك في القول : ﴿ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي ﴾ فإنّ الشّقّ الآخر منهما صُدّر بحرف العطف الفاء الدّال على التّرتيب مع التعقيب ، وعلى أنّ ما قبل الفاء سببٌ فيما بعدها، وأنّ ما بعدها مترتّبٌ على ما قبلها، وذلك في القول : ﴿ فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ ﴾ وهكذا يتبيّن أنّ مجئ : "وإذ" دليلٌ على تميّز المعجزة أو استقلالها عمّا سبقها .

فإذا تحوّلنا إلى المعجزتين الأخريين ، الثّالثة والرّابعة تبيّنّا الحذف بشأن أولاهما والذّكر بشأن أخراهما.قال تعالى: ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ ﴾ وفي سبيل تبيين روعة كلٍّ من الحذف والذّكر هنا نحن بحاجةٍ إلى النّظر إلى المعجزات الأربع معاً كي نتبيّن أنّ ثلاثاً منها تتعلّق بِعَمَلِيَّةِ الخلق أو الإيجاد وهي الأولى والثّانية والرّابعة ، وأنّ واحدةً منها هي الثّالثة من غير جنسٍ الخلق والإيجاد أي من جنسٍ آخر . إنّ الطّين أصل الطائر هنا ، وإنّ التّراب أصل الميّت هنا ، وإنّ التّراب من جنس الطّين ، أمّا الأكمهُ والأبرصُ فهما شخصان من الأحياء . وهكذا يتبيّن أنّ المعجزات الثّلاث من جنسٍ واحدٍ وهي الأولى المتمثّلة في خلق عيسى عليه السّلام من الطّين كهيئة الطّير بإذن الله تعالى ، فالنّفخُ في تلك الهيئة فتكون طيراً بإذن الله تعالى ، وإخراجُ الموتى أحياء بإذن الله تعالى بعد نداء عيسى عليه السّلام لهم من قبورهم . وقد لاحظنا روعة مجئ : "وإذ" بين يدي المعجزة الرّابعة تنبيهاً على أنّها من جنس المعجزتين الأوليين .

وكما قام ذِكْر "وإذ" بهذه الرّوعة قام حذفها بشأن المعجزة الثّالثة وذلك في القول: ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ ﴾ إنّ الأكمه والأبرص من الأحياء ، وإنّ إعادة البصر إلى الأكمه

وإعادة البشرة في حقّ الأبرص إلى طبيعتها من جنسٍ واحدٍ غير معجزة الخلق أو الإيجاد في المعجزات الثّلاث الأُخَر . وهكذا يتبيّن أنّ حذف "وإذ" بشأن المعجزة الثّالثة له ذات الدّور البليغ الّذي كان لذكر : "وإذ" بشأن المعجزتين الأولى ، وقد عرفنا أنّها ذات شقّين ، والأخيرة ذات الشّقّ الواحد .

وهكذا يتبيّن روعةُ كلٍّ من ذكر : "وإذ" وحذفها في القول : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ ﴾ والله أعلم .

د– معجزة الزّمان أو الحساب

هذه اللّمحة في إعجاز سورة المائدة الكريمة تتعلّق بالآية الكريمة السّادسة والعشرين الّتي تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى قضى بتحريم الأرض المقدّسة على بني إسرائيل ، وبأن يتيهوا في أرض شبه جزيرة سَيْناء أربعين سنةً ، بسبب فسقهم وعصيانهم أمر الله تعالى وأمر رسول الله تعالى إليهم موسى عليه السّلام . وهذه الآية الكريمة إحدى الآيات الكريمات ، ابتداء من الآية الكريمة العشرين ، وانتهاءً بالآية الكريمة السّادسة والعشرين ، الّتي تتحدّث في ملابسات هذا التحريم والتّيَهان في الأرض . وهذه هي الآيات الكريمات .

قال تعالى(١) :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

---

(١) سورة المائدة ٢٠– ٢٦ .

وسنبدأ بتبيين معنى الآيات الكريمات ، وسنقف مليّاً عند الآية الكريمة الأخيرة الّتي جاء فيها ذكر أربعين سنةً موضع معجزة الزّمان أو الحساب .

إنّ السّياق يقول للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، بقصد تثبيت فؤاده عليه الصّلاة والسّلام ، وهو الّذي صادف تعنّتاً شديداً من بني إسرائيل : واذكر يا محمّد إذ قال موسى عليه السّلام لقومه بني إسرائيل في ألطف كلام : يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ، وقوموا بما يجب عليكم من شكرٍ لله تعالى عليها ، إذ جعل فيكم أنبياء دون انقطاع من عهد إسرائيل ، وهو يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السّلام ، إلى موسى عليه السّلام . والمعروف أنّ النّبوّة موصولةٌ في القوم من لدن إبراهيم عليه السّلام إلى عيسى عليه السّلام آخر أنبياء بني إسرائيل ، مروراً بموسى عليه السّلام كبير أنبياء بني إسرائيل . واذكروا إذ جعلكم ربّكم جلّ وعلا ملوكاً ذوي مُلْكٍ وجاهٍ وسلطانٍ وثراءٍ وخَدَمٍ وحَشَم ، وآتاكم ما لم يؤت أحداً من عالمي زمانكم . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة الّتي كتب الله تعالى لكم وأثبت في اللّوح المحفوظ أنّها لكم مساكن ومنازل دون الجبابرة الّتي فيها[1] والّتي سكنها الجبابرة بعد مغادرة يعقوب عليه السّلام وآله الشّام

---

(١) تفسير الطّبري ٦/ ١١٠ .

إلى مصر بدعوةٍ من يوسف بن يعقوب عليهما السّلام حينما كان يوسف عليه السّلام عزيز مصر أو ملكها ، ولا ترتدّوا على أدباركم جبناء عن القتال فتنقلبوا خاسرين في الدّنيا والآخرة . ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ قال رجلان من الّذين يخافون الله تعالى وأنعم عليهما ادخلوا عليهم باب المدينة الّتي يقال إنّها بيت المقدس . فإذا دخلتموا الباب فإنّكم غالبون بإذن الله تعالى فإنّ الجبّارين صُوَرٌ لا حقائق بسبب خوائهم من الإيمان . وهذان الرّجلان المنعم عليهما هما يوشع بن نون فتى موسى وكالوب بن يوفنه[1] خَتَن موسى على أخته مريم بنت عمران[2]:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ قال ربّ إنّي لا أملك إلاّ نفسي وأخي هارون فافْرُقْ وافصل بيننا وبينهم بقضاءٍ منك تقضيه فينا وفيهم

---

(١) تفسير الطّبري ٦/ ١١٣ .

(٢) البحر المحيط ٣/ ٤٥٥ وتفسير ابن عطيّة ٤/ ٤٠١ .

فتبعدهم منّا[1] قال الله سبحانه وتعالى فإنّ الأرض المقدّسة أو المدينة المقدّسة محرّمةٌ عليهم . أربعين سنةً يتيهون في أرض شبه جزيرة سَيْناء فلا تحزن يا موسى على القوم الفاسقين .

وبشأن الآية الكريمة الأخيرة يصحّ أن تكون تلاوة الآية الكريمة تلاوةً موصولةً : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾

ويصحّ الوقوف على لفظة الأرض : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾

ويصحّ أن يكون ثمّة ما يسمَّى بتعانق الوقف بمعنى أنّه إذا كان الوقوف على موضع امتنع الوقوف على الموضع الآخر وبالتّالي يصحّ أن تكون التّلاوة : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ويصحّ أن تكون التّلاوة : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾

ومن البيّن أن تحريم الأرض المقدّسة على بني إسرائيل حينما يكون أربعين سنةً يكون التّيهان أربعين سنةً تبعاً لذلك .

---

(١) تفسير الطّبريّ ٦/ ١١٦ .

وهذا المعنى يستفاد من التّلاوة على هذا النّحو : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾

ومن البيّن أنّ تحريم الأرض المقدّسة على بني إسرائيل يكون على التّأبيد حينما تكون التّلاوة على هذا النّحو :﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ . وبهذا تكون الأرض المقدّسة محرّمةً على بني إسرائيل على التّأبيد بنصّ القرآن الكريم ، إذ المعروف أنّ محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم هو الوارث الشّرعيّ لمقدّسات النّبيّين السّابقين . والمعروف أنّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم قد أسرى الله تعالى به من المسجد الحرام في مكّة المكرّمة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس. والمعروف أن المسجد مكان عبادة المسلمين وَحْدَهُمْ . وقد جاء في الآية الكريمة الأربعين من سورة الحجّ الجمع في نسق بين الصّوامع وهي أمكنة عبادة الرّهبان ، والبِيَع بمعنى الكنائس وهي أمكنة عبادة عامّة النّصارى ، والصّلوات ، وهي أمكنة عبادة اليهود ، والمساجد ، وهي أمكنة عبادة المسلمين . قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ وإليك هذا النّصّ المرويّ عن

---

(١) ٢/ ٤٠ .

ابـن عبّـاس في تفسـير ابـن كثير[1] وهـو ذو علاقـةٍ وثيقـةٍ بمعجـزة الزّمـان أو الحسـاب : "عـن ابـن عبّـاس ﷺ : قولـه: فإنّهـا محرّمـةٌ عليهم أربعين سنةً يتيهون في الأرض ، قال : فتاهوا أربعين سنة . قال:فهلك موسى وهارون في التِّيه وكلّ من جاوز الأربعين سنة . فلمّا مضت الأربعون سنة ناهضهم يُوشَعُ بنُ نُون ، وهو الّذي قام بالأمر بعد موسى ، وهو الّذي افتتحها ،، وجاء في موضعٍ آخر[1] :"عن سعيد بن جبير، سألت ابن عباس عن قوله : فإنّها محرّمةٌ عليهم أربعين سنةً يتيهون في الأرض . الآية . قال : فتاهوا في الأرض أربعين سنةً يصبحون كلّ يومٍ يسيرون ليس لهم قرار. ثمّ ظلّل عليهم الغمام في التّيه وأنزل عليهم المنّ والسّلوى . وهذا قطعةٌ من حديث الفتون . ثمّ كانت وفاة هارون عليه السّلام ، ثمّ بعده بمدّة ثلاث سنين وفاة موسى الكليم عليه السّلام . وأقام الله فيهم يُوشَعَ بْنَ نُون عليه السّلام نبيّاً خليفةً عن موسى بن عمران . ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدّة . ويقال : إنّه لم يبق منه أحدٌ سوى

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٠ .

يوشع وكالب . ومِنْ ههنا قال بعض المفسّرين في قوله : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ هذا وقفٌ تامّ . وقوله : أربعين سنة . منصوبٌ بقوله : يتيهون في الأرض . فلمّا انقضت المدّة خرج بهم يوشع بن نون عليه السّلام أو بمن بقي منهم وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها فكان فَتْحُها يوم الجمعة بعد العصر" .

ومعجزة الزّمان أو الحساب في الآية الكريمة تتجلّى في الأربعين سنة ، علماً بأنّ لفظ سنة يجيء دليلاً على سنى الشِّدّة، وذلك على غرار استعمال العرب لفظ السّنة في الشدّة والعام في الرّخاء . إنّ الأربعين سنةً بنصّ القرآن الكريم كفيلةٌ بإذن الله تعالى بأن يذهب فيها الجيل الّذي أَلِفَ الذّلّ والعبوديّة على غرار قوم موسى عليه السلام الّذين سامهم فرعون الخسف ، وبأن يحلّ محلّه الجيل الجديد الّذي نشأ وترعرع في جوّ الحرّيّة فأصبح قادراً على القتال ، مستعدّاً للبذل والتّضحية . إنّ هذا هو الّذي حصل لبني إسرائيل بعد موت موسى عليه السّلام ، وإنّ هذا هو الّذي حصل في عصرنا الحاضر على يد أطفال الحجارة وأبطال الانتفاضة في فِلَسْطِين المحتلّة الّذين أعادوا بفضل الله تعالى الأمل جديداً في عودة القدس وفِلَسْطِين وسائر المقدّسات الإسلاميّة إلى حظيرة

الإسلام . إنّ الانتفاضة قامت بعد أربعين سنةً بالتّمام والكمال من قيام دولة البغي في فِلَسْطِين المحتلّة ، وإنّ استمرار الانتفاضة رغم كلّ وسائل القمع قوّةٌ لإعجاز الآية الكريمة ، ودليلٌ مستمرٌّ على ما نبّهت عليه الآية الكريمة من أنّ الأربعين سنةً كفيلةٌ بإذن الله تعالى كي يأتي بعدها الجيل الثّاني المستعدّ للبذل والتّضحية .

بقي على أمّة الإسلام أن يعلموا أنّ الأربعين سنةً ليس مفعولها مقصوراً على أطفال الحجارة وأبطال الانتفاضة . إنّ المفعول يجب أن يكون شاملاً لكلّ فردٍ من أفراد أمّة الإسلام ، لأنّ قضيّة فِلَسْطِين قضيّة المسلمين الأولى . إنّ على كلّ مسلم أن يحاسب نفسه عمّا قدّم أو أخّر ، بذل أو قصّر ، في حقّ أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشّريفين ، ومسرى محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين ، وفي حقّ فِلَسْطِين وسائر المقدّسات الإسلاميّة . إنّ النّصّ على الأربعين سنة بشارةٌ بأنّ الوقت الحقيقيّ للعمل الجادّ من أجل استعادة القدس الشّريف والمقدّسات الإسلاميّة قد حان الآن وليس غدا .

قال تعالى[1] " ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ **صدق الله العظيم .**

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

مكّة المكرّمة
يوم الثّلاثاء ٨/ ٤/ ١٤١٢هـ
الموافق ١٥/١٠/١٩٩١م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
بجامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

---

(١) سورة التّوبة ١٠٥ .

الخاتمـــة

في الصّفحات السّابقات وقفنا عند ثلاثة ألفاظٍ في سورة المائدة المدنيّة الكريمة من زاوية تطوّر الدّلالة وهي : "شعائر" و"الجوارح" و "مكلّبين" وأشرنا إلى المعاني المتعدّدة المفهومة من هذه الألفاظ ، وإلى إيحاءاتها ودلالاتها على حياة العرب قبل الإسلام . كما وقفنا عند آيتين كريمتين من زاوية بنائهما للمعاني. وقد تبيّن أوجه الشّبه بين الآيتين الكريمتين والإضافات المعنويّة الّتي تضمّنتها أخراهما . وبشأن روعة الذّكر والحذف وقفنا عند ذِكْرِ ظرف الزّمان : "إذ" وحَذْفِه في إحدى الآيات الكريمات . وبشأن معجزة الزّمان أو الحساب وقفنا عند نصّ الآية الكريمة السّادسة والعشرين على الأربعين سنةً دليلاً على ميلاد جيلٍ جديد مستعدٍّ للبذل والتّضحية ، يخلف الجيل السّابق الّذي سامه الأعداء الخسف . وقد تجلّى إعجاز الآية الكريمة في عصرنا الحاضر في انتفاضة أطفال الحجارة وأبطالها في فِلَسْطِينَ المحتلّة، وقد ولدت الانتفاضة بعد أربعين سنةً بالتّمام والكمال من ميلاد دولة البغي . وبما أنّ قضيّة فِلَسْطِين قضيّة كلّ مسلم ، فإنّ هذه الأربعين سنةً ينبغي أن يكون مفعولها شاملاً لكلّ مسلم ، وليس مقصوراً على

أطفال الانتفاضة وأبطالها حتّى تعود القدس وفِلَسْطِين وسائر المقدّسات الإسلاميّة بإذن الله تعالى إلى حظيرة الإسلام .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

فهرست المصادر والمراجع

القـــــــرآن
الكريم

ابن رواحة (عبد الله) ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاريّ الخزرجيّ شاعر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم . دراسة جمع تحقيق د.حسن محمّد باجوده . دار التّراث . القاهرة . الطّبعة الأولى سنة ١٩٧٢م .

ابن عطيّة (أبو محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الأندلسيّ) المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . تحقيق وتعليق . الرّحالي الفاروقي . عبد الله بن إبراهيم الأنصاريّ. السّيّد عبد العال السّيّد إبراهيم . محمّد الشافعي صادق العناني . الطّبعة الأولى . قطر ١٣٩٨هـ ١٩٧٧م .

ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا) مقاييس اللّغة . تحقيق وضبط عبد السّلام محمّد هارون . الطّبعة الثّانية ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م حلبي – مصر

ابن منظور (جمال الدّين محمّد بن مكرّم) لسان العرب .

بيروت . ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م .

أبو حيّان (محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان) البحر المحيط . بيروت . تصوير .

الأصفهانيّ (أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالرّاغب الأصفهانيّ) المفردات في غريب القرآن . تحقيق محمّد سيّد الكيلاني . دار المعرفة . بيروت . لبنان. بدون تاريخ .

البخاريّ (أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم) كتاب الصّحيح ، كتاب الشّعب ١٣٧٨هـ

السّيوطي (جلال الدّين) تفسير الجلالين .

الطّبريّ (أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ) جامع البيان في تفسير القرآن . الطّبعة الأولى . بولاق ١٣٢٩هـ .

قرطبيّ (أبو عبدالله محمّد بن أحمد الأنصاريّ) تفسير القرطبيّ الجامع لأحكام القرآن . دار الشّعب . القاهرة بدون تاريخ .

النّيسابوريّ (أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى النّيسابوري) أسباب النّزول . تحقيق السّيّد أحمد صقر الطّبعة الثّالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م دار القبلة للثّقافة

الإسلاميّة . جده . مؤسّسة علوم القرآن . سوريا دمشق . بيروت .

النّيسابوري (نظام الدّين الحسن بن محمّد بن حسين النّيسابوري) غرائب القرآن ورغائب الفرقان . مطبوع بهامش تفسير الطّبريّ .

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدّمـة	٣
أ – تطوّر دلالة الألفاظ	٦
"شعائر"	٦
"الجوارح" "مكلِّبين"	١٤
ب – بناء الآيات الكريمات للمعاني	٢٦
ج – روعة الذّكر والحذف	٣٣
د – معجزة الزّمان أو الحساب	٣٨
الخاتمـة	٤٧
فهرست المصادر والمراجع	٤٩
فهرست الموضوعات	٥١